حوليات آداب عين شمس المجلد 50 (عدد أكتوبر – ديسمبر 2022)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)

موقف المثقف من السلطة في أواخر العصر الفاطمي وبواكير العصر الأيوبي عمارة اليمني أنموذجاً

د. مساعد جابر سالم العنزي*

قسم التاريخ والآثار – كلية الآداب– جامعة الكويت
Musaed.alenezi@ku.edu.ku

تاريخ الاستلام: 2022/3/1
تاريخ قبول البحث: 2022/3/29
تاريخ النشر: 2022/12/29

المستخلص:

لعب المثقف في العصور الإسلامية دوراً كبيراً في تعزيز شرعية الحاكم ورجال الدولة على اختلاف أنظمة الحكم الإسلامية. فكان للمثقف تأثير كبير على عامة الشعب، فهو من يوصل لهم سياسة الحاكم، ويبرر للدولة أفعالها من خلال شعره وكتاباته وإنتاجه الثقافي. وقد كان الشاعر والفقيه عمارة اليمني (ت٥٦٩هـ/ ١١٧٤م) أنموذجًا لموقف المثقف من السلطة الحاكمة، سواء كانت السلطة ممثلة بالنظام السياسي المختلف معه مذهبياً كالخلافة الفاطمية، أو متفقة معه مذهبياً كالسلطنة الأيوبية.

وهدف البحث دراسة شخصية الشاعر والفقيه عمارة اليمني، وموقفه تجاه الأنظمة الحاكمة. كما تهدف الدراسة أيضاً إلى البحث عن سبب اختلاف مواقف الشاعر عمارة تجاه الأيوبيين، رغم اتفاقه معهم مذهبياً، وعلى العكس من موقفه المؤيد للخلافة الفاطمية مع اختلافه معهم مذهبياً.

وتوصل البحث إلى عدد من النتائج، أهمها أن العلاقة بين المثقف والسلطة علاقة تبادل منافع لحاجة كلا الطرفين للآخر. كما بينت الدراسة مدى تأثير الشاعر عمارة اليمني في خدمة المشاريع السياسية للوزراء الفاطميين، غير أن العلاقة قد ساءت بينه وبين السلطنة الأيوبية الناشئة، وذلك لانتفاء المنفعة بين الطرفين. كما توصل الباحث إلى أن بعض جوانب البحث يمكن أن تعد بذرة جيدة للأبحاث المستقبلية بهدف توفير فهم واسع للعصرين الفاطمي والأيوبي.

كلمات مفتاحية: عمارة اليمني– الفاطميون– الأيوبيون– المثقف

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب – جامعة عين شمس 2022.

المقدمة:

يسعى هذا البحث إلى دراسة العلاقة بين المثقف والسلطة السياسية في العصرين الفاطمي والأيوبي، ويركز على دور المثقف في تعزيز النفوذ السياسي للسلطة الحاكمة في المجتمع وتقويته. فقد احتاجت السلطة الأيوبية، ومن قبلها الخلافة الفاطمية، إلى تعزيز شرعيتها السياسية عند عامة الناس، وفي الأوساط الثقافية والاجتماعية النافذة في المجتمع. وقد كان للمثقفين دورًا بارزًا في تمكين السلطة السياسية عند مختلف شرائح المجتمع، لما تمتلكه طبقة المثقفين من سلطة معرفية وفكرية، الأمر الذي قربهم من السلطة السياسية، ومن عامة الناس، في ذات الوقت. وقد تطلب ذلك من السلطة السياسية الأيوبية التعاون مع مختلف الأطراف المتنفذة في المجتمع لتعزيز سلطانها الجديد الناشئ في مصر، بعد سقوط الخلافة الفاطمية، المختلفة معها سياسيًا وثقافيًا ومذهبيًا. كما كان للخلافة الفاطمية حاجة ماسة لجهود المثقفين في تعزيز شرعيتها الدينية والسياسية في مصر، بالإضافة إلى جهودهم في مواجهة النفوذ الديني للخلافة العباسية المختلفة عنها مذهبيًا، والعدو اللدود لها سياسيًا. فكان للمثقف دور كبير في خدمة المشروع السياسي الفاطمي والأيوبي. ومن أهم المثقفين الذين عاصروا الفترة الفاطمية والأيوبية، الشاعروالفقيه عُمارة اليمني (ت. 569 هـ/ 1174 م) الذي كان له دور بارز ثقافيًا، كما يُعد أنموذجًا لعلاقة المثقف بالسلطة السياسية.

وتكمن أهمية هذا البحث في إبراز مكانة المثقف، المتمثلة في عُمارة اليمني، في المجتمع، وفي خدمة المشروع السياسي والثقافي للسلطة الحاكمة. إذ أن السلطة السياسة تطمح دائماً للتحالف مع طبقة المثقفين، كالشعراء والفقهاء والأدباء، لتعزيز مكانتها في المجتمع، ولمواجهة خصومها المعارضين لها في الداخل والخارج. كما أن هذه الدراسة تهدف إلى فهم طبيعة العلاقة بين السلطة والمثقف المتبني للمشروع السياسي والثقافي لتلك السلطة الحاكمة. ويهدف البحث أيضاً إلى تسليط الضوء على دور المثقف، لما له من سلطة معرفية وثقافية، وبما يملكه من فكر وقدرة على التواصل مع المجتمع، في علاقته بالطبقة السياسية، وتسويقه لمشاريع السلطة التي تهدف إلى تثبيت سلطانها وتعزيز شرعيتها السياسية والدينية.

وسيحاول هذا البحث الإجابة عن التساؤلات التالية: ما هي ظروف تكوين الفكر الثقافي لعُمارة اليمني؟ وما هي طبيعة العلاقة بين عمارة اليمني والسلطة الحاكمة الفاطمية في مصر؟ وهل كانت العلاقة بين عمارة اليمني والفاطميين نابعة من البعد المذهبي، أم لمنفعة متبادلة بين الطرفين؟ وما موقف عمارة اليمني من تولي صلاح الدين الأيوبي (ت. 589 هـ/ 1193 م) وزارة الخليفة العاضد الفاطمي (ت.567 هـ/ 1171 م) في مصر؟ وما موقف السلطة الأيوبية الناشئة من عمارة اليمني؟ وما موقف عمارة اليمني من سقوط الخلافة الفاطمية ونشأة السلطنة الأيوبية، وجعل مصر تحت عباءة الخلافة العباسية في بغداد؟

الفرضية:

إن فرضية هذا البحث تكمن في أهمية دور المثقف في تعزيز شرعية السلطة الحاكمة وتقويتها، ومحاولتها إقامة تحالفات مع الطبقة المثقفة في المجتمع. وهل كان الدور الذي لعبه عُمارة اليمني في ظل الخلافة الفاطمية عبارة عن تبادل

للمنفعة؟ حيث يمنح المثقف، المتمثل بشخص عُمارة اليمني، الشرعية للمشروع السياسي للسلطة الفاطمية، مقابل أن تقدم السلطة الفاطمية للمثقف دوراً أكبر في أوساط الناس فترتفع مكانته الاجتماعية والثقافية بسبب دعم السلطة له. وتفترض هذه الدراسة أن البعد العروبي عند عمارة اليمني كان يطغى على البعد المذهبي، فيرى الولاء للفاطميين مع اختلافه معهم مذهبياً، أقرب من الميل لحاكم يلتقي معه في المذهب الديني. كما تفترض الدراسة أن السبب الذي جعل لعمارة المكانة المتميزة في العصر الفاطمي، هو ذات السبب الذي أعطى للسلطة الأيوبية المبرر للقضاء عليه، حيث كان أحد أهم الركائز الثقافية في العصرالفاطمي.

وسأتناول في هذا البحث مفهوم المثقف في مصادر اللغة العربية، التي تُمكننا من فهم دور المثقف من خلال تقديم معاجم اللغة العربية لمعنى الثقافة والمثقف. كما سيتناول البحث التكوين الثقافي للشاعر والفقيه عُمارة اليمني، وتأثير البيئة الثقافية في خلق شخصيته الفكرية والدينية. بالإضافة إلى ذلك سنسلط الضوء على دور عمارة اليمني في تعزيز الشرعية السياسية للخلافة الفاطمية، وطبيعة العلاقة بين عمارة اليمني والطبقة الحاكمة في الخلافة الفاطمية. وسيتطرق البحث إلى موقف عُمارة اليمني من تولي صلاح الدين لوزارة الخليفة العاضد الفاطمي، ودوره بوصفه مثقفًا في تهيئة الجو العام في مصر لتقبل شخصية صلاح الدين. كما سيتناول البحث موقف عُمارة اليمني من سقوط الخلافة الفاطمية وقيام السلطنة الأيوبية، وحقيقة مؤامرته على السلطة الأيوبية الناشئة، وموقف صلاح الدين الأيوبي من عُمارة اليمني.

الثقافة والمثقف:

تعد الثقافة من أهم ما يميز المجتمعات الإنسانية، فهي تعبر عن سلوكيات الناس وممارساتهم. كما تُبرز الثقافة مدى التطور الذي يعيشه المجتمع في مجال الفنون والعلوم والأخلاق. لذلك فإن ثقافة أي مجتمع هي ما يُحدد طبيعة النظام فيه، سواء كان هذا النظام سياسياً أو اقتصاديًا أو اجتماعيًا. فالمجتمع هو من ينتج نظامه السياسي والإداري والاقتصادي، تبعاً لمدى تطوره الثقافي والاجتماعي.

وعند الحديث عن الثقافة وعلاقة المثقف بالسلطة، يجب أن نُعرِّف معنى الثقافة والمثقف لغةً واصطلاحًا. حيث نجد أن المعاجم العربية قد تطرقت لمعنى الثقافة لغة ووضحت معناها. إذ يشير الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت. 170 هـ/ 786 م) لمعنى الثقافة، تحت جذر ثقف، "والثقف مصدر الثَّقافة، وفعله ثَقِف، وثقفتُ الشيء وهو سرعة تعلمه، وقلب ثَقفٌ أي سريع التعلم والفهم".[1] ويذكر الزمخشري (ت. 538 هـ/ 1143 م) في مادة ثَقِفَ أن ثقفتُ الشيء أي أسرعت في تعلمه، ومن المجاز أدّبه وثقّفه وهذبه.[2] كما أورد ابن منظور (ت.711 هـ/ 1311 م)، مصدر الكلمة: ثقفٌ التي تعني "حاذقٌ فهم.... رجلٌ ثَقفٌ... ضابطاً لما يحويه قائماً به، ويقال ثقفتُ الشيء وهو سرعةُ تعلمه". ويضيف ابن منظور "ثقف أيضاً ثقفاً..... أي صار حاذقاً فطناً)، (ويقال غلامٌ لقِنٌ ثقفٌ أي ذي فضل الإشارة اليه فطنةٍ وذكاء، والمراد أنه ثابت المعرفة بما يحتاج إليه".[3] أما في الجانب الاصطلاحي لمعنى الثقافة، فقد أشار رينهارت دوزي Reinhart Dozy (ت.

1883 م) إلى أن كلمة الثقافة تستعمل لوصف أصحاب الأقلام، وهم المفكرون والقراء في المجتمع.[4] كما وضح دوزي أن الثقافة في معناها الاصطلاحي هي تقويم السلوك وإصلاحه، وهذا لا يتأتى إلا عن طريق تثقيف النفس وزيادة اطلاعها على العلوم والآداب والفنون.[5]

وتناول عدد من المفكرين موضوع الثقافة والمثقف والأدوار المنوطة به، وعلاقته بالمجتمع وبالسلطة السياسية. فقد كتب أنطونيو غرامشي Antonio Gramsci (ت. 1937 م) عن المثقف ودوره من خلال تحليله لنوعية المثقف، ودوره في المجتمع، وما إذا كان هذا الدور سلبياً أم إيجابياً. كان تركيز غرامشي في تحليلاته التاريخية نابعاً من فكره الماركسي، وتبنّيه لرؤية مختلفة عن كارل ماركس Karl Marx (ت.1883 م) الذي كان يرى أن البناء التحتي بما يحويه من أدوات الإنتاج الاقتصادي هو المحرك الرئيس للنظام السياسي والاجتماعي والفكري. إلا أن غرامشي قد أتخذ منحى مغايراً عن ماركس، فكان يرى أن البناء الفوقي الذي يشمل الثقافة والفكر والقيم، هو المحرك للتغيرات في أي مجتمع. كما كان تركيز غرامشي على دراسة الثقافة والمثقفين في المجتمع. وتطرق في كتاباته إلى الثقافة والمثقفين وصنفهم إلى نوعين: النوع الأول، هو المثقف التقليدي، والنوع الثاني هو المثقف العضوي. فجعل غرامشي طبقة رجال الدين، الذين تنتجهم السلطة وتوظفهم لخدمة سياساتها ضمن الفئة الثانية من المثقفين العضويين، التي احتكرت الأيدلوجية الدينية، بالإضافة إلى المؤسسات الدينية، في العصور الوسطى، كالمدارس والتعليم والقضاء والأعمال الخيرية.[6] وبناء على ذلك فإن فئة رجال الدين تُعد ضمن المثقفين المرتبطين عضوياً بالسلطة السياسية والاقتصادية في ذلك العصر.

ومن جانب آخر، تبنى المفكر إدوارد سعيد (ت. 2003 م) أفكار غرامشي بالنسبة إلى تصنيف المثقفين ودورهم في المجتمع، وارتباطهم بالسلطة السياسية التي تستخدمهم في تسويق أعمالها وشرعنتها. وأضاف إدوارد سعيد في أفكاره عن المثقف ما يسمى بخيانة المثقفين. حيث أشار إلى أنه لا يهدد المثقفين إلا الطابع اللاعقلاني الذي يخرجه عن دوره الحق في النقد على أسس عقلانية وأخلاقية وأن يصبح مجرد جوقة تردد صدى النظرة السياسية السائدة.[7] وهذا ما سوف نتناوله في هذا البحث عن دور المثقف المتمثل بعمارة اليمني كأنموذج للمثقف الفقيه والشاعر ورجل الدين، حيث كان له دور بارز في الدفاع عن السلطة السياسية المتمثلة بالخلافة الفاطمية، المختلفة معه مذهبيا وعقديا.

التكوين الثقافي للشاعر والفقيه عمارة اليمني:

يجدر بالباحث عند تناول شخصية جدلية كشخصية عمارة اليمني أن يبحث في نشأته وطبيعة البيئة التي عاش فيها وتأثر بها. فقد سلط المؤرخون في العصور الإسلامية الضوء على شخصية عمارة اليمني، حيث كان من المؤرخين والشعراء والفقهاء الذين تبوأوا مكانة مهمة في بلاط الحكام، سواء في اليمن أو مكة أو في مصر. كما أن قربه من الحكام والوزراء، جعل منه مؤثراً في توجيه سياسيات صانعي القرارفي تلك الفترة، وكان له كثيرٌ من المؤلفات في مختلف المجالات التاريخية والأدبية والفقهية[8].

نشأ عمارة اليمني بحسب ما كتبه في كتابه: المفيد في أخبار زبيد، عن ولادته في قرية الزرائب في زبيد بحدود عام 529 هـ/ 1134م في نهايات حكم الصليحيين.[9] بينما يذكر بعض كتّاب التراجم أن عمارة قد ولد في مرطان في تهامة اليمن التي تبعد حوالي أحد عشر يوما جنوب مكة، وأنه قد بلغ الحُلم سنو 529 هـ/ 1134م.[10] إلا أن ما يصرح به عمارة عن نفسه هو الأولى بالأخذ، لأن المؤرخين الذين تناولوا سيرة عمارة، ينقلون معلوماتهم عن الرواة. وينتمي عمارة إلى قبيلة مذحج، وهي واحدة من أكبر القبائل العربية في اليمن، وكان لجده مكانة عظيمة في قومه، وهذا –أثر تأثيرًا كبيرًا في تكوينه الثقافي وتشكيل هويته العروبية.[11] فقد ورد عنه كثير من الأبيات يفخر فيها بقبيلته وقوميته العربية، مثل قوله:

مِن يعرب العربا حيث التقت شعائبُ السؤددِ من يعربِ
قومي الأولى يرجح ميزانهم إن فاضلوا أو ناضلوا الناس بي[12]

وعند التطرق إلى نشأة عمارة، فأولى المصادر هي ما كتبه عن نفسه في مؤلفاته، خصوصا عن أسرته وتلقيه العلم في اليمن، قبل ولوجه السياسية عن طويق علاقاته مع رجال السلطة. رحل عمارة إلى زبيد في حدود عام 531هـ/ 1136م، التي كانت في هذه الفترة تحت حكم بني نجاح.[13] فمكث في زبيد حوالي أربع سنوات، كانت لها بالغ الأثر في تكوين ثقافته الفقهية، حيث درس على يد كبار فقهاء الشافعية في زبيد. فقد ذكر ابن أيبك الصفدي (ت 764هـ/ 1362م) في ترجمة عمارة أنه كان شافعيًا شديد التعصب للسنّة.[14] فقد درس الفقه الشافعي على يد الفقيه أبي محمد بن أبي القاسم، واللغة والنحو على يد نصر الله بن سالم الحضرمي، الذي لا شك في أنه أسهم في تشكيل وتقوية موهبة عمارة الأدبية.[15]

بعد إتمام عمارة دراسة الفقه في زبيد أصبح يلقب بالفقيه والقاضي، فالأولى درجة علمية نتيجة دراسته للعلوم الدينية، والثانية تشير إلى أنه قد عمل في القضاء فترة من الزمن في زبيد. كما كان عمارة في خدمة الحرة أم فاتك صاحب زبيد (ت 545هـ / 1150م)، ورافقها في رحلة الحج، فكانت لعمارة مكانة مميزة عند الحرة أم فاتك.[16] وبعد ذلك انتقل عمارة اليمني من زبيد إلى عدن مبعوثا من قِبل أم فاتك لشراء بضائع من عدن بسبب سوء الأوضاع الاقتصادية في زبيد نتيجة للصراع السياسي بين زبيد وعدن لمحاولة الداعي بلال بن جرير صاحب عدن غزو زبيد.[17] كانت عدن حين قدوم عمارة عليها، تحت حكم الداعي محمد بن سبأ (ح.533-548هـ/ 1139-1153م) من أسرة آل زريع اليامية وكانت تعتنق هذه الأسرة المذهب الإسماعيلي.[18] إلا أن إقامته لم تطل في عدن، حيث صرح عمارة عن جماعة من أهل عدن حسدوه لقربه من مجلس حاكم عدن محمد بن سبأ، بعد أن التمس منه الحاكم العلم والأدب.[19] وكذلك بسبب نية محمد بن سبأ التحالف مع علي بن مهدي الحميري وكان من الخوارج،[20] لقتال بني نجاح في زبيد، مما اضطر عمارة لمغادرة عدن لكي لا يحسب ضمن الجماعة المتآمرة على حكام زبيد.[21]

بعد وصوله إلى زبيد مرة أخرى، خشي عمارة من أن ينفذ الوشاة مقصدهم بقتله عند أمير زبيد فاتك بن محمد بن منصور (531-553هـ/ 1136- 1158م)،[22] فاضطر عمارة للهروب إلى مكة سنة 549هـ/ 1154م،[23] على الرغم من اتصاله برجال الحكم في زبيد كأمثال الوزير ابن البوقا اليمني وزير بني نجاح.[24] وفي نفس العام الذي توجه فيه عمارة إلى مكة، توفي أميرها هاشم بن فليته، وتولى بعده ولده قاسم بن هاشم بن فليته (549- 556هـ/ 1154-1161م).[25] ولما رأى قاسم ما لعمارة من مكانة أدبية، أمره بالتوجه بكتاب من أمير مكة إلى الخليفة الفائز بن الظافر الفاطمي في القاهرة (556- 561هـ/ 1154- 1160م)،[26] ليعلن فيها قاسم الولاء للفاطميين الذين كان نفوذهم يمتد إلى الحجاز والحرمين في تلك الفترة.

يتبين لنا من خلال هذا العرض لسيرة عمارة في اليمن، أنه كان طامحاً لمجالس السلطة، سواء كان ذلك في زبيد أو عدن أو حتى مكة ومصر فيما بعد. فكان ما يمتلكه من مواهب علمية ومعرفية جعلت منه مثقفاً يمتلك أدوات المعرفة التي تحتاجها السلطة من المثقف، كالشعر والأدب والعلوم الدينية. وهذه الأدوات مكنت عمارة من التقرب إلى الحكام والانتفاع من رجال السلطة كما سيتضح لنا في فيما بعد، خصوصاً في مصر الفاطمية.

عمارة اليمني ورجال السلطة في مصر الفاطمية:

كان لانتقال عمارة اليمني من زبيد إلى مكة في عهد أميرها قاسم بن هاشم بن فليته، أثر كبير في تشكيل علاقة عمارة بحاكم مكة. فعند وصوله إلى مكة، بدأ بإلقاء الوعظ والدروس في الحرم المكي، فزاد ذلك من شهرته بين أهالي مكة وجماعة العلماء فيها.[27] كما أسهم هذا النشاط في قربه من الأمير قاسم، الذي تولى حكم مكة في نفس الفترة التي قدِم فيها عمارة إليها. كما أسهمت المؤهلات والمواهب التي تمتع بها عمارة،من فصاحة في اللسان والشعر وتعليمه الديني على يد علماء دين، في اعتماد الأمير قاسم عليه كرسول منه إلى الخليفة الفائز الفاطمي والملك الصالح طلائع بن رزيك.[28]

كانت أوضاع مصر مضطربة في هذه الفترة بسبب الصراع الداخلي بين الوزراء والخلفاء. فقد بلغ ضعف الخلفاء إلى أن تم إعطاء الوزراء كامل التفويض في إدارة شؤون البلاد. فمنذ أن تقلد بدر الدين الجمالي (ت 515هـ/1121م) منصب الوزارة، حتى آلت جميع أمور الدولة إلى الوزراء دون الخلفاء، وهذا يعبر عن مدى الضعف الذي وصلت إليه الخلافة الفاطمية. وعند قدوم عمارة اليمني إلى مصر رسولاً من أمير مكة قاسم بن هاشم، كان الوزير طلائع بن رزيك قد استلم الوزارة في بداية عهد الخليفة الفائز بنصر الله الفاطمي.

وبعد وصول عمارة اليمني إلى القاهرة سنة 549هـ/ 1154م، التقى بالخليفة الفاطمي الفائز بنصر الله، ونقل له رسالة الشريف قاسم.[29] ولما يتمتع به عمارة من خبرة ودراية في التعامل مع الملوك، فقد نجحت سفارته، وألقى قصيدة نالت إعجاب الخليفة الفائز ورجال الدولة، كان مطلعها:

الحمدُ للعيسِ بعد العَزمِ والهممِ حَمداً يقومُ بما أولتْ بهِ النعم

إلى قوله:

ورُحنَ من كَعبةِ البَطحاءِ والحرمِ وفداً إلى كعبة المعروفِ والكَرمِ[30]

فكان لقصيدته وقعٌ كبير على الخليفة وأهل بيته والمقربين منه. فانهالت عليه الأعطيات والهدايا من الخليفة الفائز، حيث قدم لعمارة الخلع والثياب، وقدمت له السيدة الشريفة بنت الخليفة الحافظ الفاطمي خمس مئة دينار.[31] كما أعجب الملك الصالح رزيك بهذه القصيدة وأعطاه خمس مئة دينار وقربه من مجلسه، وصار عمارة ذا حظوة عند وزير الدولة الفاطمية. فكان عمارة من جلساء الملك الصالح الذي أغدق عليه بالعطايا وجعله يخالط العلماء والفقهاء في مجلسه.[32] كما صار ينظم القصائد في مدح الوزير الصالح بن رزيك، ورجال دولته من القادة العسكريين وأمراء الدولة.

وهذا يعكس شخصية عمارة اليمني الذي كان طامحاً للقرب من أصحاب المناصب ومجالسة رجال الدولة، وكانت قوة الشعر الذي يتمتع بها وفصاحة اللسان، باباً من أهم أبواب الولوج على رجال السلطة في تلك الفترة. فبعد قضاء عدة أشهر في مصر، يذكر عمارة في كتابه "النكت العصرية" أنه قرر العودة إلى مكة، فكان لقوة صلته بالملك الصالح طلائع، أن كتب له كتاباً إلى والي قوص، كما كتب له الصالح كتاباً إلى عمران بن محمد الداعي صاحب عدن باليمن بسبب مبلغ من المال كان عند عمارة للداعي فيما مضى، فأسقطها الداعي عن عمارة،[33] فكتب عمارة قصائد المدح للملك الصالح، ومنها قوله:

لقد غَمَرتني من نَداه مَواهبُ أضَافت إلى عز الغنى شَرَفَ القَدْر[34]

وصل عمارة إلى مكة في سنة 550 هـ/ 1155م، وبقي فيها مدة من الزمن، وكان لشدة ثقة أمير مكة قاسم بن هاشم بعمارة، أن أمر الخليفة العباسي المقتفي (ح.530-555هـ/ 1136-1160م) في تلك السنة أمير مكة بأن يبدل باب الكعبة ببابٍ جديد، وأن يأخذ أمير مكة الفضة والذهب المزين بها الباب، وأن يرسل إلى الخليفة ببغداد خشب الباب القديم كي يكون له تابوتًا عند وفاته.[35] فطلب أمير مكة من عمارة أن يبيع الفضة في اليمن، فتوجه عمارة إلى زبيد وعدن في نفس العام وباعها ورجع إلى مكة وسلم الأمير مبلغ الفضة.[36] وقرر عمارة اليمني في هذا الوقت الرجوع إلى زبيد والاستقرار فيها. إلا أن حادثة في موسم حج ذلك العام قد جرت بين أعوان أمير مكة وبعض الحجاج المصريين بسبب أخذهم أموالًا منهم دون وجه حق. فأراد أمير مكة أن يرسل كتاباً للملك طلائع يوضح له ما جرى ويعتذر عما بدر من رجاله.[37] فيذكر عمارة أن بعض الوشاة قد أخبر الملك الصالح طلائع أن عمارة قد سب مذهب الإمامية،[38] وهو ما يبدو أنها محاولة لإفشال الوساطة بين أمير مكة والملك الصالح، وكذلك كانت هذه الوشاية محاولة لتخريب العلاقة القوية بين عمارة اليمني والملك الصالح. فقرر عمارة مدح الملك الصالح رزيك بقصيدة يعدد بها خصال الملك الصالح ويمدح بها انتصاراته على الفرنجة في معركة العريش، وقد كانت إحدى المعارك التي خاضها الملك الصالح ضد الفرنجة. كما أشار عمارة في هذه القصيدة إلى الوشاة والحساد الذين يريدون إفساد العلاقة بينه وبين الملك الصالح، لحسدهم له، وتقريب الملك الصالح له وإكرامه إياه، فقال فيها:

إني حُسِدتُ على كرامتك التي من أجلها في كل أرضٍ أُكرمُ[39]

فنجحت وساطة عمارة عند الملك الصالح، وقربه منه وأكرمه من بيت المال وألزمه بملازمة مجلسه. وهنا يتضح لنا توجه عمارة اليمني العقائدي والفكري من خلال ما جرى له في مجلس الصالح طلائع. فقد ذكر عمارة أنه كان في مجلس الملك الصالح حيث ناقشوا بعض الأمور المذهبية والهجوم على بعض الشخصيات المعتبرة عند أهل السنة والتي فيها ازدراء لمذهب أهل السنة، فما كان من عمارة إلا أن اعتزل مجلس الملك الصالح عدة أيام.[40] وفيها حاول الملك الصالح إقناع عمارة اليمني بالمال لترك مذهبه والتحول إلى المذهب الشيعي، فرفض عمارة عرض الملك الصالح وأبى أن يترك مذهبه.[41] وهذا يشير إلى أن عمارة رغم كونه جليساً للملوك والوزراء ويأخذ منهم الأعطيات، إلا أنه كان يرفض تغيير فكره واعتقاده، رغم استمراره في علاقته معهم.

بعد مقتل الملك الصالح طلائع بن رزيك في ٥٥٦هـ/ ١١٦١م، انتقلت الوزارة إلى ابنه الملك العادل رزيك بن طلائع (٥٥٦-٥٥٨هـ/ ١١٦١- ١١٦٣م). فانتقل عمارة إلى مجالسة الملك العادل الذي كانت تجمعه به علاقة قبل مقتل والده ومدحه ببعض القصائد.[42] وفي هذه الفترة تعرف عمارة على القاضي الفاضل بن علي عبد الرحيم البيساني (ت ٥٩٦هـ/ ١٢٠٠م) الذي أرسل في طلبه الوزير الملك العادل من الإسكندرية، وكان من أشهر رجال الدولة الفاطمية في نهايتها، وفي عصر صلاح الدين فيما بعد، حيث استعمله الملك العادل في ديوان الجيش في القاهرة.[43] وقد مدح عمارة اليمني الملك العادل بقصائد كثيرة، لكرمه وجهاده ضد الصليبين.[44] وقد قُتل الملك العادل على يد الوزير الفاطمي شاور السعدي سنة (٥٥٨هـ/ ١١٦٣م)،[45] وتم تنصيب شاور وزيراً للخليفة العاضد الفاطمي في نفس السنة. وقد توطت العلاقة بين شاور وعمارة اليمني، حيث أصبح عمارة من جلساء شاور السعدي ومدحه في عدة قصائد. وأورد الصفدي قصيدة قالها عمارة اليمني في مدح شاور السعدي، يذكر فيها بني رزيك، حيث فتك فيهم شاور وخرب دورهم وصادر أموالهم، فكان من ضمن هذه القصيدة البيت الذي قال فيه:

ولّت ليالي بني رزيك وانصرمت والمدحُ والشكر فيهم غير منصرم

إلى قوله

ولو فتحتُ فمي يوماً بذمهم لم يرض فضلك إلا أن يسدّ فمي[46]

حيث لم يقبل عمارة هجاء بني رزيك الذين كان لهم فضلٌ عليه، وهو ما زاد إعجاب شاور به لوفائه لهم. كما كانت لعمارة علاقة طيبه مع الوزير ضرغام بن عامر اللخمي، ومدحه شعراً.

فبعد ان استوزر العاضد شاور السعدي في مصر، أساء في سياسته للرعية وعامل العاضد معاملة سيئة،[47] فنتج عن تلك السياسة خروج ضرغام بن عامر من الصعيد على شاور، فخرج له شاور إلا أنه هُزم من قِبل ضرغام وقتل ولده طيء بن شاور، واستولى على الوزارة سنة ٥٥٨ هـ/١١٦٣ م.[48] فكان استيلاء ضرغام على الوزارة في القاهرة بداية دخول القوى الخارجية في مسرح الصراع في مصر، نتيجة لاستنجاد الفرقاء من رجال الدولة الفاطمية بالقوى الخارجية لتثبيت حكمهم في الدولة الفاطمية.

فما كان من شاور بعد هزيمته إلا أن استنجد بنور الدين محمود، مقابل إرجاعه لمنصبه في وزارة الفاطميين.[49] فشكلت هذه الاستغاثة فرصه لنور الدين بمد نفوذه وسيطرته على مصر، فقرر إرسال أسد الدين شيركوه، وهو أحد قواده البارزين، لقيادة الحملة المتجهة إلى مصر. فقد أبدى نور الدين محمود اهتمامًا كبيراً بمصر، خاصة وأنها تمثل طرف مهم في الصراع الإسلامي الصليبي، بالإضافة إلى أنها ستشكل إضافة كبيرة لقوة نور الدين في مواجهة الصليبيين وإعطاء زخم كبير لقواته نظراً لإمكانيات مصر الاقتصادية.

وفي هذه الأثناء، تأخر الفاطميون في دفع التزاماتهم المالية المتفق عليها لمملكة بيت المقدس.[50] فتحركت قوات الملك عموري الأولAmalric I (558- 569هـ/ 1163- 1171م) في عام 558هـ/ 1163م، إلا أنه واجه مقاومة من الجيش الفاطمي بقيادة الوزير ضرغام، فقرر عموري الانسحاب إلى بيت المقدس.[51] وفي نفس الوقت، كان نور الدين قد اتفق مع شاور السعدي على تحريك حملته العسكرية إلى مصر مقابل تعهد شاور بتقديم ثلث خراج مصر لنور الدين، وأن يعترف بسيادة نور الدين عليه.[52] نتيجة لذلك استنجد ضرغام بالملك عموري الأول، مقابل دفع مبلغ سنوي من المال لعموري. فبدأ السباق بين نور الدين وعموري على الوصول لمصر والسيطرة عليها. فخرجت قوات نور الدين بقيادة اسد الدين شيركوه من الشام عام ٥٥٩هـ/ ١١٦٤م بصحبة ابن أخيه صلاح الدين الأيوبي.[53]

دخلت قوات أسد الدين شيركوه مصر، فأرسل ضرغام قوات بقيادة أخيه ناصر الدين بن عامر لملاقاة أسد الدين قرب بلبيس، إلا أنه هُزم.[54] فأنسحب ناصر الدين باتجاه القاهرة واجتمع بقوات ضرغام، وجرت معركة خارج أسوار القاهرة، انتصر فيها أسد الدين وقُتل ضرغام.[55] فدخل أسد الدين للقاهرة وعاد شاور للوزارة، فحققت حملة نور الدين مبتغاها. إلا أن شاور طلب من أسد الدين مغادرة القاهرة على عكس ما تم الاتفاق عليه مع نور الدين. وهنا تغير الموقف السياسي لشاور، حيث استنجد بعموري الأول ملك مملكة بيت المقدس.[56] فقرر الملك عموري نجدة شاور، خاصة أن الصليبيين كان يهمهم وضع مصر تحت سيطرتهم، بغض النظر عن شخصية الحليف الذي يتعاونون معه.

فتقدم عموري الأول بقواته نحو مصر في رمضان ٥٥٩هـ/ ١١٦٤م، واجتمع بشاور وحاصروا أسد الدين في بلبيس ودام الحصار عدة أشهر حتى توصل الطرفين لعقد الصلح.[57] تم خلال الصلح الاتفاق على جلاء كل من عموري الأول وقواته وأسد الدين وجيشه عن مصر،[58] وبذلك استطاع شاور أن ينهي الصراع لمصلحته بمغادرة كلٌّ من الصليبيين وقوات أسد الدين عن مصر. إلا أن نور الدين ظل يحاول الاستيلاء على مصر من شاور وبسط نفوذه عليها. فقرر تسيير حملة جديدة لمصر بعد أكثر من عامين على انسحاب أسد الدين مع قواته عنها. فتحركت الحملة بقيادة أسد الدين نحو مصر بصحبة ابن أخيه صلاح الدين سنة ٥٦٢هـ/ ١١٦٧م. وعاد شاور بالاستنجاد بعموري الاول ملك بيت المقدس، فدخل الطرفان باشتباكات ومعارك انتهت بعقد صلح بين أسد الدين حيث أفضى هذا الصلح إلى مغادرة جيش الصليبيين بقيادة ملك بيت المقدس عموري الأول نحو القدس، وقوات اسد الدين شيركوه نحو الشام.[59]

ثم قرر الملك عموري الأول، بسبب رغبته في الاستيلاء على مصر، أن ينقض الصلح ويدخل بقواته مصر عام ٥٦٤هـ/ ١١٦٨م.[60] وحاول شاور إيقاف الملك عموري وان يثنيه عن دخول مصر، ونقض الصلح المبرم بينه وبين أسد الدين حتى لا يترك مجالاً لنور الدين لتحريك حملة عسكرية تجاه مصر. بعد مراسلات بين شاور والملك عموري، رفض

الملك مغادرة مصر وفرض حصار على بلبيس الذي دخلها بعد ثلاثة أيام من الحصار، حيث جرت فيها مذبحة عظيمة تجاه سكانها.[61]

ثم قرر الخليفة العاضد مراسلة نور الدين محمود والاستنجاد به، بعد مطالبة العديد من الشخصيات في القاهرة بدعوة قوات نور الدين، وكان على رأسهم الكامل بن شاور والقاضي الفاضل صاحب ديوان الإنشاء.[62] فتحركت قوات نور الدين تجاه مصر بقيادة أسد الدين شيركوه في ٥٦٤هـ/ ١١٦٨ م، مقابل الحصول على ثلث خراج مصر، وبعض الإقطاعات لقادة نور الدين، والسماح لأسد الدين بالمكوث في مصر.[63] ثم تحركت قوات الملك عموري بعد أن وصلته أخبار قدوم قوات نور الدين لمصر، وأن يقابل الجيش الشامي عند فاقوس[64] والقضاء عليه. إلا أن أسد الدين قد فاجأ الملك عموري بعبوره وقواته عن طريق الجنوب وتجاوز القوات الصليبية. فدخل أسد الدين القاهرة في عام 564هـ/ 1169م، دون مقاومة تذكر.[65] وعاد الملك عموري لبيت المقدس دون أن يحقق أياً من أهدافه في الاستيلاء على مصر ووضع نفوذه على السلطة فيها.

وفي مقابل ذلك، استقبل الخليفة العاضد اسد الدين شيركوه استقبالاً حافلاً، فوجد شاور نفسه مضطراً للاتصال بأسد الدين على الرغم من العداوة التي كانت بينهما طوال الفترة السابقة. ومع هذا كان الصراع على النفوذ مستمراً بين شاور وأسد الدين، فيذكر ابن الاثير أن شاور قد حاول القبض على أسد الدين وقادته خلال دعوتهم لوليمة والتخلص منهم، إلا أن أسد الدين قد علم بهذه المؤامرة.[66] وكان صلاح الدين قد أصر على إيقاف تآمر شاور ضد وجودهم، وفي أثناء قدوم شاور للتشاور مع أسد الدين شيركوه، قبض عليه صلاح الدين ورجاله، وأصدر العاضد أمراً بقتله في نفس العام.[67] وقلّد العاضد أسد الدين شيركوه الوزارة في مصر وأصبح الحاكم الفعلي لمصر واستولى على أموال شاور وأسرته.

يتضح لنا مما سبق، أن عمارة اليمني كوّن له علاقات متينة بين رجال الدولة الفاطمية في القاهرة، أسهمت في علو شأنه بينهم على الرغم من شدة الاختلاف بين مراكز القوى في الدولة الفاطمية. حيث أبقى عمارة نفسه في الوسط بين جميع الفرقاء في القاهرة، فمدح بنو رزيك، وبعد انتهاء وزارتهم، مدح شاور السعدي الذي أنهى حكم بني رزيك، إلا أن عمارة بقي في المنتصف بين الفرقاء وذكّر المنتصرين بعلاقته بالمهزومين وفضلهم عليه. وهذا يدلنا على طبيعة شخصية عمارة حيث أنه لم ينل من الشخصيات التي كان لها فضلٌ عليه. إن طبيعة هذه الشخصية تقودونا إلى طبيعة العلاقة بين عمارة اليمني الشاعر وبين الأيوبيين، الشخصيات الفاعلة التي دخلت مسرح الصراع في مصر في نهاية حكم الدولة الفاطمية.

كذلك كان الصراع على مصر الفاطمية بين القوى الخارجية صراعاً على مقدرات مصر الضخمة وموقعها الاستراتيجي الهام. وهذا ما يعطي للطرف المنتصر في هذا الصراع قدرة أكبر على تثبيت سيطرته على مواقعه في الشام حيث صراع الزنكيين والصليبين على أشده. وفي نفس الوقت ولّد هذا الصراع ظهور عدة قوى معارضة للوضع الجديد في مصر. فقد استولى على السلطة الفعلية فيها طرف يمثل قوى خارجية تختلف عن توجهات الخلافة الفاطمية سياسياً ومذهبياً.

عمارة اليمني في عهد السلطان الناصر صلاح الدين:

بعد وفاة أسد الدين شيركوه، تقلد صلاح الدين وزارة الخليفة العاضد عام ٥٦٤هـ/ ١١٦٩ م، فكان تولي صلاح الدين لهذا المنصب بداية النهاية الفعلية للخلافة الفاطمية. فبتولي صلاح الدين وزارة العاضد، أصبح السلطان نور الدين زنكي هو الأقوى نفوذاً في مصر ومن ورائه الخلافة العباسية اسمياً. وقد كان للأدباء والعلماء دورٌ في تعزيز سلطة صلاح الدين والترويج لسياساته في الوزارة ومن أبرزهم الشاعر والفقيه عمارة اليمني، فقد كانت له علاقات طيبة مع أمراء البيت الأيوبي ودعم سياسة صلاح الدين أثناء توليه وزارة العاضد.

بادر عمارة اليمني في كيل المديح لصلاح الدين وأسرته أثناء توليه وزارة العاضد، فقال فيهم العديد من القصائد التي تظهر شجاعتهم وبطولاتهم في التصدي لأعداء الخلافة الفاطمية. فيقول فيهم:

حمى الله منكم عزمةً أسديةً فككتم بها الإسلام من ربقة الكفر

أخذتم على الإفرنج كلَّ ثنيةٍ وقلتم لأيدي الخيل مرّي على مُرّي[68]

وهنا يتضح من خلال شعر عمارة، أنه كان يمدح صلاح الدين طالما هو في خدمة الفاطميين. بالإضافة لكون صلاح الدين وأسرته مع بقاء الخلافة الفاطمية وليس لديهم النية في إسقاطها وضمها للخلافة العباسية.

في أثناء هذه المدة، تمكن صلاح الدين من فرض هيمنته على مفاصل الدولة الفاطمية، وأخذ في التضييق على الخليفة العاضد. في نفس الوقت كان الضغط يزداد على صلاح الدين من قِبل السلطان نور الدين محمود الذي كان يحث صلاح الدين على سرعة الإعلان عن سقوط الخلافة الفاطمية، ورجوع مصر إلى سيادة الخلافة العباسية في بغداد.[69] قد يبدو أن التأخير في إعلان سقوط الخلافة الفاطمية يعود إلى عدة أسباب، لعل من أهمها أن صلاح الدين كان ينوي أولاً التأكد من ردة فعل الموالين للفاطميين في القصر والجيش على وجه الخصوص، بالإضافة إلا أن الخطر الصليبي ما يزال قائماً.

ومما يؤكد هذا، قيام مؤتمن الخلافة بمحاولته التخلص من صلاح الدين عن طريق التحالف مع الملك عموري الأول في عام ٥٦٤هـ/ ١١٦٩م.[70] فقد كانت لسياسة صلاح الدين وتمكنه من السيطرة على الجند ومماليك عمه أسد الدين شيركوه، والإمدادات التي تصله من نور الدين محمود قد قوّت نفوذه في الدولة. فازداد خوف المتنفذين في الدولة الفاطمية على مراكزهم، ومن أبرزهم مؤتمن الخلافة. إلا أن صلاح الدين قد اكتشف المؤامرة عن طريق إلقاء القبض على رسوله الذي كان يحمل رسالة مؤتمن للملك عموري. فترقب صلاح الدين الفرصة المناسبة وقتل مؤتمن الخلافة.[71]

نتيجة للقضاء على مؤتمن الخلافة، حاول الملك عموري الأول بالتعاون مع البيزنطيين من احتلال مصر سنة ٥٦٥هـ/ ١١٦٩م.[72] وفي أثناء توجه صلاح الدين للاستعداد لمواجهة الحملة الصليبية على مصر، ثار الجند السودان على صلاح الدين نتيجة لمقتل مؤتمن الخلافة، لكن صلاح الدين تمكن من إخماد ثورتهم، وعزل موظفي القصر الموالين للفاطميين، وعيّن عليهم بهاء الدين قراقوش.[73] كما تمكن صلاح الدين من إفشال حملة الملك عموري الأول بعد مواجهتها عسكرياً وهزيمة التحالف الصليبي البيزنطي سنة ٥٦٥هـ/ م١١٦٩.

وقد كان لعمارة اليمني دور كبير مع غيره من الشعراء في مدح صلاح الدين وكرمه وحسن قيادته. فقد أثنى عمارة في شعره على صلاح الدين وانتصاراته في هزيمة الصليبين والذود عن حياض الإسلام. ومنها قوله فيه:

تركت قلوب المشركين خوافقاً وبات لواء النصر فوقك يخفقُ

سمت بصلاح الدين ملّةُ أحمدٍ وطائرها فوق السماك محلّقُ[74]

بعد أن استتب الأمر لصلاح الدين في القاهرة، واستطاع قمع أي تمرد محتمل من قِبل أنصار الفاطميين الذين بات وجود صلاح الدين وسياسته تهديداً مباشراً لنفوذهم، قرر المضي قدماً في تنفيذ الخطوات الأخيرة لإسقاط حكم الفاطميين. فمن أهم عناصر سياساته تهيئة الأرضية الثقافية في مصر، والعمل على التغيير المذهبي. فأبطل صلاح الدين المناسبات الدينية كمجالس العزاء في يوم العاشر من محرم، وأزال عبارة " حي على خير العمل" من الأذان.[75] كما قام بتأسيس المدارس السنية والتضييق على المؤسسات الفاطمية بهدف إضعافها والقضاء عليها.[76]. كما قام صلاح الدين بإحداث تغيير كبير في النظام القضائي فعزل قضاة الشيعة وعين بدلاً منهم قضاة من المذهب السني.[77] وبهذه السياسة أصبح إسقاط الخلافة الفاطمية هدفًا أيسر وأقرب من ذي قبل خصوصاً مع تهيئة الجو العام في تقبل سقوط الخلافة.

ففي مطلع سنة 567هـ/ 1171م، أقدم صلاح الدين على الخطوة الأخيرة والأكثر أهمية، وهي قطع الخطبة للخليفة الفاطمي العاضد، وإقامة الخطبة للخليفة العباسي المستضيء بالله.[78] ونتيجة لهذه الخطوة الهامة، لم يواجه صلاح الدين أية مقاومة أو اعتراض، وبالتالي أعاد الوحدة السياسية بين الشام ومصر تحت راية الخلافة العباسية. وتطلب الوضع السياسي بعد سقوط الخلافة الفاطمية من الشعراء والفقهاء والمتصوفة وجميع من له تأثير في الحياة العامة، أن يرفعوا من شأن الأيوبيين ويهيئوا الحاضنة الشعبية في مصر للحكام الجدد.

بدأ عمارة اليمني بمحاولة التقرب من الأسرة الأيوبية، خصوصاً بعد أن أصبحت مقدرات مصر تحت أيدي الأيوبيين. فقد وجه عمارة المديح إلى نجم الدين أيوب والد صلاح الدين بعدة قصائد، منها قوله:

أنت أكرم من يمشي على قدم والناسُ عنك فقد أثنوا بما علموا

أنت المسيح وأحوالي بها سقمٌ فامنن بمجزةٍ يبرا بها السقمُ[79]

وهنا نلاحظ من خلال شعر عمارة، أنه يرجو من نجم الدين أيوب أن يمده بالأعطيات والأموال، كما كان يأخذ من الفاطميين قبل سقوط دولتهم. وهذه القصائد تصوّر لنا وضع عمارة اليمني بعد سقوط دولة الفاطميين، حيث أراد أن تستمر مكانته في الدولة الجديدة كما كانت من قبل من خلال العطايا والمنح والجوائز التي ينالها من الحكام. وزاد مدح عمارة لبقية أركان البيت الأيوبي، فمدح العادل بن أيوب، فقال فيه:

وجدنا مدح سيف الدين في جانب الأيام أقوى العدد

ملكٌ من آل أيوب له كرمُ الفرع وطيب المحتدِ[80]

كما نرى عمارة اليمني يمدح أخا صلاح الدين توران شاه بن أيوب، ويحثه على أخذ اليمن وإقامة حكم الأيوبيين فيها، فيقول فيه:

ضاق الصعيد على جيادك بعدما ضمنت صعادك فتح كل صعيد

والغربُ واليمنُ القصيدةُ أهله من خوفهم في قائمٍ وحصيدِ [81]

نجد عمارة اليمني، من خلال هذه الأبيات، يستجدي بشعره صلاح الدين وأركان أسرته، ويطلب منهم العطايا والهبات. فيبدو أن عمارة اليمني كان يمر بظروف مادية صعبة للغاية، على الرغم من قوة شعره وتأثيره، كما يتضح لنا أن صلاح الدين لم يقربه ويمنحه ما أراد من الأموال. وقد يكون السبب في ذلك هو علم صلاح الدين بأن عمارة اليمني غير صادق في تقربه من الأيوبيين، وهو أقرب للفاطميين منه للأيوبيين. كما يوجد احتمال في أن السبب في إهمال صلاح الدين لعمارة اليمني يرجع إلى بلوغ أنباء لصلاح الدين عن علاقات واتصال عمارة ببقية أركان الدولة الفاطمية. وهو ما يهدد الحكم الجديد واستقراره، خصوصاً إذا ما تم إعطاء عمارة للأموال وغيرها التي قد يستخدمها في أي تحرك ضد الدولة.

محاولة عمارة اليمني الانقلابية ضد الأيوبيين:

ساءت أوضاع عمارة اليمني بعد تضعضع مركزه داخل البلاط الأيوبي، وفشله في استمالة صلاح الدين على الرغم من قصائد المدح التي وجهها إليه وللنافذين في الأسرة. وعلى الرغم من اتفاق عمارة مع الحكام الجدد مذهبياً، إلا أنه قد يأس من التقرب إليهم، فبدأ يرثي الخلافة الفاطمية نكاية في الأيوبيين. فقال في الفاطميين عددًا من القصائد منها قوله يرثي الخليفة العاضد لدين الله، فقال:

قلب الزمانُ على الخلافة قاس ما للزمان جرى بغير قياس

هذه حصونُ الروم عطّل غزوها وغزت دياركمُ بني العباس[82]

وقوله في رثاء الفاطميين أيضاً قصيدة مطلعها:

رميت يا دهرُ كف المجد بالشلل وجيده بعد حسن الحَلى بالعطلِ[83]

وهنا يتضح الهجوم العنيف من قِبل عمارة على صلاح الدين الأيوبي الذي أنهى الخلافة الفاطمية وأعاد مصر إلى سلطان الخلافة العباسية. وعلى الرغم من الاختلاف المذهبي بين الفاطميين وعمارة، إلا أنه كان شديد الولاء لهم. وقد يكون هذا الولاء نابعاً من كون عمارة قد فقد الامتيازات والعطايا التي كان يحصلها من رجال الدولة الفاطمية. بالإضافة إلى ذلك قد يكون البعد القومي العروبي عند عمارة تجاه الفاطميين، أقوى من البعد المذهبي تجاه صلاح الدين الذي يتفق معه مذهبياً.

امتد هجوم عمارة شعراً على أركان البيت الأيوبي فهجاهم بعدد من القصائد، وتحول هذا الهجوم إلى تخطيط لتغيير الوضع القائم. فيذكر ابن أيبك الصفدي أن عمارة قد بدأ في تأليب الأعيان والشخصيات المهمة على صلاح الدين الأيوبي.[84] وهذا قد يكون من أهم الأسباب التي جعلت صلاح الدين يبعد عمارة عن بلاطه ويمنع عنه العطاء. ثم قرر عمارة اليمني البدء بخطته، وكان من أهم أركان هذه الخطة، هي إضعاف الجيش الأيوبي في مصر، عن طريق إغراء صلاح الدين وأخيه توران شاه باحتلال اليمن وضمها إلى حكم الأيوبيين. ومن خلال هذه الطريقة، يخرج مع توران شاه جزء كبير من الجيش الأيوبي، وهذا ما حدث فعلاً.[85] وقال يمدح توران شاه ويحرضه على الاستيلاء على اليمن

أمامك الفتح من شامٍ ومن يمنٍ فلا تردّ رؤوس الخيل باللّجمِ

فعمك الملك المنصور سوّمها من الفرات إلى مصر بلا سأمِ[86]

وبدأ عمارة بعد ذلك في تنفيذ الخطة مع مجموعة من الموالين للخلافة الفاطمية في عام ٥٦٩ هـ/ ١١٧٤ م. فيذكر العماد الأصفهاني أن عمارة ومن معه قد تآمروا مع الفرنجة ضد صلاح الدين.[87] إلا أنه قد كان مع جماعة عمارة الفقيه زين الدين علي بن نجا، وقد نقل خطتهم الانقلابية إلى صلاح الدين، الذي أمره بالاستمرار بمجالستهم ونقل كل ما ينوون القيام به.[88] فأنتهى الأمر بعمارة وجماعته بأن ألقي القبض عليهم وصلبهم مطلع شهر رمضان سنة ٥٦٩هـ/ ١١٧٤م.[89]

تناول المؤرخون شخصية الشاعر عمارة واختلفوا في مذهبه أهو سني المذهب أم متشيع. وقد يكون هذا الاختلاف في تحديد هويته المذهبية نابع من النهاية التي حدثت معه، حيث أتهم بحياكة مؤامرة ضد نظام الحكم الأيوبي الناشئ، والتواصل مع الصليبيين للقضاء على الأيوبيين وإرجاع الخلافة الفاطمية. لذلك نرى أن شخصية عمارة، ومما سبق ذكره من شعره في الفشل من التزلف إلى الأيوبيين، قد قاده للدخول في محاولة إنقلابية ضد الأيوبيين، بسبب فقده للمزايا والامتيازات التي كان يحصل عليها زمن الفاطميين. فتحول عمارة إلى الطرف المناهض للفاطميين كان بسبب ميله للجانب العروبي المتمثل بالخلافة الفاطمية، التي رأى منها الكرم فضلاً عن انتسابهم لآل البيت. في مقابل ذلك، رأى الجفاء من الجانب الأيوبي الذي يتفق معهم عمارة مذهبياً فقط، فغلب الجانب العروبي على المذهبي عند الشاعر، فانخرط في المؤامرة ضد الأيوبيين. وهناك بيت من شعر عمارة في مدح الفاطميين يمكننا أن نرى من خلاله تغلب النزعة العروبية على المذهبية، في قوله:

مذاهبهم في الجود مذهبُ سنةٍ وإن خالفوني في اعتقاد التشيع[90]

وفي نفس القصيدة يكيل فيها العتب على صلاح الدين بسبب عدم مراعاته وقطع عطائه، بقوله:

ألم ترعني للشافعي وأنتمُ أجلُّ شفيع عند أعلى مشفَّع[91]

وفي الاختلاف حول مذهب عمارة عند المؤرخين، يذكر ابن خلكان على سبيل المثال أن عمارة كان شافعياً شديد التعصب لأهل السنة، وذكر فيها حادثة بينه وبين طلائع بن رزيك، حيث تم تناول بعض الصحابة في مجلس طلائع، فخرج منه عمارة مغضبا.[92] ويؤيد القلقشندي ابن خلكان فيما ذهب إليه من كون عمارة سنياً لم يعتنق مذهب التشيع.[93] ويعارضهم في ذلك ابن الأثير الذي رأى أن عمارة اليمني كان شيعياً وتآمر مع جماعة من الشيعة ضد صلاح الدين الأيوبي.[94] وهو ما وافقه عليه ابن كثير في ميل عمارة للفاطميين في ذكره لحادثة عمارة اليمني، على الرغم من أنه لم يتهمه بالرفض.[95]

مع كل ما سبق ذكره، نرى أن السبب في التخلص من عمارة يعود إلى عدة أسباب وليس سبباً واحداً. فعمارة اليمني من خلاله ما دوّنه عن نفسه في كتابه: النكت العصرية في أخبار الوزراء الفاطمية، نرى أنه شخصية طموحة يرغب في الثراء والجاه والغنى. وهذا كان واضحاً من خلال سيرة حياته وتقربه من الحكام، سواء في اليمن وعند أشراف مكة والفاطميين، أو حتى عند الأيوبيين في بداية دولتهم في مصر. كما أن الجانب العروبي لعب دوراً كبيراً في تحديد توجهات عمارة من الفاطميين، وحتى فيما بعد من الأيوبيين. فقد نال الأعطيات من الفاطميين ووزرائهم، فمدحهم وأعلن لهم الولاء. وعندما لم ير هذا الكرم عند الأيوبيين، غلب الولاء القديم للفاطميين على رأيه وشعره، إلى أن دخل في المؤامرة مع بعض رجالات الفاطميين ضد صلاح الدين، التي انكشفت وأدت بهم إلى الإعدام والصلب.

خاتمة

نستخلص مما سبق، أن العلاقة بين المثقف والسلطة علاقة تبادل منافع وحاجة كل من الطرفين للطرف الآخر. كما أن قوة تأثير المثقف في الأوساط الاجتماعية يمكنها أن تعزز من حظوته في وسط الطبقة الحاكمة فيزداد نفوذه ومكتسباته المادية. كما بينت الدراسة مدى تأثير الشاعر عمارة اليمني في خدمة مشاريع الوزراء الفاطميين في زمن الصراع بينهم على السلطة في نهاية الفترة الفاطمية. وتبين كذلك، دور الشاعر عمارة في إضفاء الشرعية السياسية على الحكم الأيوبي الجديد مثله مثل بقية الشعراء والفقهاء في هذه الفترة.

كما اتضح لنا في هذا البحث، أن المثقف المتمثل في الشاعر عمارة اليمني قد اختلف مع السلطة الأيوبية الناشئة على الرغم من موافقته معها مذهبياً، والسبب في هذا انتفاء مبدأ المنفعة في العلاقة بين المثقف والسلطة. وقد أدى هذا التنافر بينهم، إلى شروع الشاعر عمارة اليمني في هجاء ومهاجمة الأيوبيين، لفقده الامتيازات والعطايا التي كان ينالها من أركان الدولة الفاطمية. وهذا ما أكد الفرضية التي وضعها البحث، من أن المنفعة قد طغت على البعد المذهبي والتسامي على الخلافات السياسية بين المثقف والسلطة أثناء مواجهة العدو الخارجي المتمثل بالصليبيين. كما أن البحث قد توصل، إلى أن السبب في بروز شخصية عمارة اليمني في العصر الفاطمي وقوة نفوذه بين أركان الدولة، كان هو نفسه السبب الذي جعل السلطة الناشئة تقطع عنه الامتيازات وترغب في التخلص منه كونه أحد المشكوكين في ولائهم للحكم الجديد.

كما توصلت الدراسة إلى أن جهود صلاح الدين الأيوبي في مواجهة التحديات الداخلية، المتمثلة في محاولات رجال السلطة السابقة في القضاء على السلطة الجديدة، قد أدت إلى تفرغه في مواجهة العدو الخارجي المتمثل في الكيانات الصليبية في الشام. وأخيراً، أثبت البحث أن للمثقف دوراً كبيراً في استقرار السلطة وتثبيتها أو الإطاحة بها.

Abstract

The Position of the Intellectual from the Ruling Authority in thelate Fatimid the Early Ayyubid's eras

ʻUmārah al-Yamani as a Model

By Musaed Gaber Salem Alenezi

In Islamic eras, the intellectual often played a major role in strengthening the legitimacy of the ruler and statesmen in time of Islamic rules. An intellectual had a great influence on the general public, as he was the one who communicated the ruler's policy to them and justified the state's actions through his poetry, writings and so on. The poet and jurist Umara al-Yamani (569 A.H / 1174 A.D) was a model for the position of the educated person towards the ruling authority, whether the political system differed with him sectarianly, such as the Fatimid Caliphate, or was similar to him – doctrinally – like with the Ayyubids.

This research aims to study the personality of the poet and jurist ʻUmārah al-Yamani and his attitude towards the rulers. The study also aims to investigate the reason behind the differing attitudes of the poet mentioned towards the Ayyubids despite their doctrinal agreement, in contrast to his position in support of the Fatimids despite the doctrinal differences between them.

Several results were reached; the most important of which is that the relationship between the intellectual and the authority is a relationship of mutual benefits to the need of each of the two parties to the other. The study also showed the extent of the influence the poet ʻUmārah al-Yamani had in serving the political aspirations of the Fatimid ministers. Moreover, the research showed that the relationship between him and the emerging Ayyubid Sultanate worsened due to the lack of benefits between the two parties.

The researcher also concluded that some aspects of the research need to be highlighted more by researchers in the future.

Keywords: ʻUmārah al-Yamani, Ayyubids, Fatimids, the intellectual.

الهوامش

[1]الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق: إبراهيم السامرائي، مهدي المخزومي (لبنان: دار ومكتبة الهلال، 2008)، ج.5، ص 139

[2]الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1998)، ج.1، ص 110.

[3]ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين، لسان العرب، تحقيق: أبو القاسم محمد كروَ (بيروت: دار صادر، 2014.)، ج.3، ص 28.

[4]دوزي، رينهارت بيتر آن، تكملة المعاجم العربية، ترجمة: محمد سليم النعيمي (بغداد: وزارة الثقافة والإعلام، 1979)، ج.2، ص 101.

[5]دوزي، تكملة المعاجم العربية، ج2، ص 101.

[6]غرامشي، انطونيو، كراسات السجن، ترجمة: عادل غنيم (القاهرة، دار المستقبل العربي، 1994)، ص 23.

[7]سعيد، ادوارد، المثقف والسلطة، ترجمة: محمد عناني (القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع، 2006)، ص 71.

[8] له عدة مؤلفات أهمها كتاب اليمن المعروف بالمفيد في أخبار صنعاء وزبيد وشعراءها وأدباءها، وكتابه الآخر النُكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية.

[9]عمارةاليمني، نجم الدين عمارة بن علي، تاريخ اليمن، المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها وأعيانها وأدباءها، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، (القاهرة: مطبعة السعادة، 1976)، 24؛ ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي، معجم البلدان، (بيروت: دار صادر، 1995)، ج3، ص 136.

[10]ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، 1994)، ج 3، ص 431.

[11]الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت764هـ)، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، (بيروت: دار إحياء التراث، 2000)، ج22، ص 237.

[12]عمارة اليمني، نجم الدين عمارة بن علي (ت.569هـ)، تاريخ اليمن، المفيد، ص 23.

[13]عمارة اليمني، المفيد في أخبار زبيد، ص24؛ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر ابن ابي الفوارس، تاريخ ابن الوردي، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1996)، ج1، ص 324.

[14]الصفدي، الوافي بالوفيات، ج22، ص 237.

[15]عمارة اليمني، المفيد في أخبار زبيد، ص 22.

[16]سبط بن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف:مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق: محمد بركات وآخرون، (دمشق: دار الرسالة العالمية، 2013)، ج 21، ص 196؛ الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت 784 هـ)، تاريخ الإسلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، (بيروت: دار الكتاب العربي، 1993)، ج 39، ص 360.

[17]عمارة اليمني، نجم الدين عمارة بن علي، النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية، تحقيق: هرتويغ درنبرغ، (باريس: مطبعة مرسو، 1897)، ص 26.

[18]عمارة اليمني، النكت العصرية، ص 27.

[19]عمارة اليمني، النكت العصرية، ص 30.

[20]عمارة اليمني، النكت العصرية، ص 26.

[21]بعث جماعة من أهل عدن بكتاب إلى أهل زبيد يشي بعمارة وأنه كان الواسطة بين علي بن مهدي الخارجي ومحمد بن سبأ صاحب عدن. أنظر، عمارة اليمني، نجم الدين عمارة بن علي (ت 569هـ)، النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية، تحقيق: هرتويغ درنبرغ، مطبعة مرسو، باريس، 1897م، ص 30.

[22]عمارة اليمني، النكت العصرية، ص 32.

[23]ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص 432؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج22، ص 237.

[24]الصفدي، الوافي بالوفيات، ج9، ص 126.

[25]الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد الحسني الفاسي المكي (ت 832هـ)، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1998)، ج 5، ص 460.

[26]الفاسي، محمد بن أحمد الحسني الفاسي المكي (ت 832هـ)، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق مجموعة من المحققين، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2000)، ج 2، 236؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص 432.

[27]عمارة اليمني، المفيد في أخبار زبيد، ص 29.

[28]عمارة اليمني، النكت العصرية، ص 32؛ سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج5، ص 196.

[29]عمارة اليمني، النكت العصرية، ص32؛الصفدي، الوافي بالوفيات، ج9، ص 237.

[30]عمارة اليمني، النكت العصرية، ص 32.

[31]عمارة اليمني، النكت العصرية، ص 34.

[32]عمارة اليمني، النكت العصرية، ص 34.

[33]عمارة اليمني، النكت العصرية، ص 38.

[34]عمارة اليمني، النكت العصرية، ص 40.

[35]عمارة اليمني، النكت العصرية، ص 41؛ الفاسي، العقد الثمين، ج5، ص 460.

[36]عمارة اليمني، النكت العصرية، ص 41.

[37]عمارة اليمني، النكت العصرية، 42؛ العمري، أحمد بن يحيى بن فضل الله (ت. 749 هـ) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، (أبوظبي: المجمع الثقافي، 2002)، ج 16، ص 80.

[38]عمارة اليمني، النكت العصرية، ص 42.

[39]عمارة اليمني، النكت العصرية، ص 42.

[40]عمارة اليمني، النكت العصرية، 44؛الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت. 648 هـ)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين، (بيروت: مؤسسة الرسالة للنشر، 1985)، ج 20، ص 595.

[41]الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج20، ص 595.

[42]انظر عمارة اليمني، النكت العصرية، ص 49–52.

[43]عمارة اليمني، النكت العصرية، ص 54.

[44]عمارة اليمني، النكت العصرية، ص 55.

[45]الصفدي، الوافي بالوفيات،ج 16، ص 55.

[46]الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 16، ص 55؛ انظر ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج2، ص 65.

[47]عمارة اليمني، النكت العصرية، ص 65.

[48]عمارة اليمني، النكت العصرية، ص 68.

[49]الأصفهاني، عماد الدين الأصفهاني الكاتب(ت.597هـ/1201م) (2003)،*البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان*، تحقيق: محمد علي الطعاني، اربد، حامدة للنشر والتوزيع، الدمام، مكتبة المتنبي، ص390.

[50]الصوري، وليم: الحروب الصليبية، ترجمة: حسن حبشي، ج2، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1995، ص 25

[51]وليم الصوري،الحروب الصليبية، ج2، ص 25.

[52]ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبدالكريم الشيباني: الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، ج9، بيروت: دار الكتاب العربي، 1997، ص 305.

[53]جبران، نعمان (2011)؛ دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، اربد: مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع–دار اليازوري للنشر،51.

[54]المقريزي، إتعاظ الحنفا، ج3، ص 267.

[55]ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، ج6، دمشق: دار ابن كثير، 1986، ص311.

[56]Hindley, G. (2004). *A brief history of the crusades*. Robinson, p 90.

[57]أبوشامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي: الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج1، بيروت: دار الرسالة، ص412.

[58]أبو شامة،الروضتين، ج 1، ص 413.

[59]العناقرة، محمد محمود خلف:" دور الأمراء في عهد الملك نور الدين محمود بن زنكي (541 569 -هـ / 1146 – 1173م)". مجلة وقائع تاريخية، جامعة القاهرة– مركز البحوث والدراسات التاريخية: ع16، (2011)، ص 237–268.

[60]الصوري، الحروب الصليبية، ج 4، ص 41.

[61]أبوشامة، الروضتين، ج2، 47؛ الصوري، الحروب الصليبية، ج 4، ص 103.

[62]ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 9، ص338؛المقريزي، إتعاظ الحنفا، ج3، ص 294.

[63]ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 9، ص338.

[64]فاقوسمدينة في (حوف) مصر الشرقي وهي آخر ديار مصر من جهة الشام في (الحوف) الأقصى. – ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص 232.

[65]Geoffrey, A Brief History, P. 91.

[66]أبوشامة، الروضتين، ج2، ص 56.

[67]ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 9، ص341؛ جبران، دراسات في تاريخ الأيوبيين، 54.

[68]عمارة اليمني، النكت العصرية، 270.

[69]See, Bora,Fozia: "Did alā al-Dīn Destroy the Fatimids' Books? An Historiographical Enquiry." Journal of the Royal Asiatic Society:2014: 1-19.

[70]ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم(697هـ): مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق: جمال الشيال، ج1، القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، 1957، ص 175.

[71]ابن واصل، مفرج الكروب، ج1، ص176.

[72]الصوري، الحروب الصليبية، ج 4، ص 118.

[73]ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 9، ص 346.

[74]عمارة اليمني، النكت العصرية، 300.

[75]الأصفهاني، عماد الدين الأصفهاني الكاتب: البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت، المكتبة العصرية، 2002، ص 401.

[76]مثال على ذلك مدرسة دار المعونة ومدرسة دار الغزل وخانقاه سعيد السعداء للصوفية. انظر:السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر(ت.911هـ): حسن المحاضرة في تاريخ مصر القاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مصر، 1967، ج2، ص260؛ ابن خلدون،عبد الرحمن بن محمد بن محمد: العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر،تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، 1988، ج4، ص 103. See also, Riley-Smith, Jonathan: History of the Crusades, Oxford: Oxford University Press, 1999, p 228.

[77]ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج4، ص 103.

[78]انظر، غرايبه، محمد الرحيل:"جهود صلاح الدين الأيوبي في بعث المذهب السني في مصر والشام". المجلة العربية للثقافة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: مج14، ع 26، (1994):187-205.

[79]عمارة اليمني، النكت العصرية، ص 355.

[80]عمارة اليمني، النكت العصرية، ص 212.

[81]عمارة اليمني، النكت العصرية، ص 213.

[82] عمارة اليمني، النكت العصرية، ص 282.

[83]عمارة اليمني، النكت العصرية، ص 398.

[84]الصفدي، الوافي بالوفيات، ج22، ص 237.

[85]الذهبي، تاريخ الإسلام، ج39، ص 51؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج21، ص 201.

[86]ابن واصل، مفرج الكروب، ج 1، ص 239.

[87]الأصفهاني، البستان الجامع، ص 403.

[88]أبوشامة، الروضتين، ج2، 282؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 9، ص 391.

[89]ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص 435.

[90]عمارة اليمني، النكت العصرية، ص 288.

[91]عمارة اليمني، النكت العصرية، ص 289.

[92]ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 3، ص 433.

[93]القلقشندي، شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق: محمد حسين شمس الدين وآخرون، ج3، بيروت: دار الكتب العلمية، 1987، ص 570.

[94]ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 9، ص 390.

[95]ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل: البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، ج 12، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1988، ص 341.

المصادر والمراجع

*ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم الشيباني(ت.630هـ/1233م) (1997)؛*الكامل في التاريخ*، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي.

*ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد(ت.1089هـ/1679م) (1986)؛ شذرات *الذهب في أخبار من ذهب*، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دمشق، دار ابن كثير.

*ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر ابن ابي الفوارس(ت.749هـ/1349م) (1996)؛ *تاريخ ابن الوردي*، بيروت، دار الكتب العلمية.

*ابن خلدون،عبد الرحمن بن محمد بن محمد (ت. 808هـ/1406م) (1988)؛ العبر *وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر*، تحقيق: خليل شحادة، بيروت: دار الفكر.

*ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد(ت.681هـ/1282م) (1994)؛ *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر.

*ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل(ت.774هـ/1373م) (1988)؛ *البداية والنهاية*، تحقيق: على شيري، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

*ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين (ت.711 هـ/1311م) (2014)؛ *لسان العرب*، تحقيق: أبو القاسم محمد كروَ، بيروت، دار صادر.

*ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم(ت.697هـ/1298م) (1957)؛ *مفرج الكروب في أخبار بني أيوب*، تحقيق: جمال الدين الشيال، القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية.

*أبوشامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (ت.665 هـ/1267م) (1997)؛ *الروضتين في أخبار الدولتين النوريةوالصلاحية*، تحقيق: إبراهيم الزيبق، بيروت، دار الرسالة.

*الأصفهاني، عماد الدين الأصفهاني الكاتب(ت.597هـ/1201م) (2003)؛ *البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان*، تحقيق: محمد علي الطعاني، اربد، حامدة للنشر والتوزيع، الدمام، مكتبة المتنبي.

*جبران، نعمان (2011)؛ دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، اربد: مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع–دار اليازوري للنشر.

*دوزي، رينهارت بيتر آن (1979) تكملة *المعاجم العربية*، ترجمة: محمد سليم النعيمي، بغداد، وزارة الثقافة والإعلام.

*الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت. 748 هـ/1348م) (1993)؛ *تاريخ الإسلام*، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي.

*الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد (ت. 748 هـ/1348م) (1985)؛ *سير أعلام النبلاء*، تحقيق: مجموعة من المحققين، بيروت، مؤسسة الرسالة للنشر.

*الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو (ت. 538هـ/1144م) (1998)؛ *أساس البلاغة*، تحقيق: محمد باسل، بيروت، دار الكتب العلميّة

*سبط بن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف (ت. 654هـ/1256م) (2013)؛ مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق: محمد بركات وآخرون، دمشق، دار الرسالة العالمية.

*سعيد، ادوارد (2016)؛ *المثقف والسلطة*، ترجمة: محمد عناني، القاهرة، رؤية للنشر والتوزيع.

*السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر(ت.911هـ/1505م) (1967)؛ *حسن المحاضرة في تاريخ مصر القاهرة*، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، مصر: دار إحياء الكتب العربية.

*الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت.764هـ/1363م) (2000)؛ *الوافي بالوفيات*، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، بيروت، دار إحياء التراث.

*الصوري، وليم (ت.1186م) (1995)؛ *الحروب الصليبيّة*، ترجمة: حسن حبشي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

*عمارة اليمني، نجم الدين عمارة بن علي (ت.569هـ/1174م) (1897)؛ *النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية*، تحقيق: هرتويغ درنبرغ، باريس، مطبعة مرسو.

*عمارةاليمني، نجم الدين عمارة بن علي (ت.569هـ/1174م) (1976)؛ تاريخ *اليمن، المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها وأعيانها وأدباءها*، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، القاهرة، مطبعة السعادة.

*العمري، أحمد بن يحيى بن فضل الله (ت. 749 هـ/1349م) (2002)؛ *مسالك الأبصار في ممالك الأمصار*، أبو ظبي، المجمع الثقافي.

*العناقرة، محمد محمود خلف (2011)؛ "دور الأمراء في عهد الملك نور الدين محمود بن زنكي. (541 – 569 هـ/ 1146 – 1173م)"، مجلة *وقائع تاريخية*، جامعة القاهرة– مركز البحوث والدراسات التاريخية، ع16، ص 237–268.

*غرامشي، أنطونيو(1994)؛*كراسات السجن* ، ترجمة: عادل غنيم، القاهرة، دار المستقبل العربي.

*غرايبه، محمد الرحيل (1994)؛ "جهود صلاح الدين الأيوبي في بعث المذهب السني في مصر والشام"، *المجلة العربية للثقافة*، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مج14، ع 26، ص 187–205.

*الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد الحسني الفاسي المكي (ت. 832هـ/1429م) (1998)؛ *العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين*، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية.

*الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد الحسني الفاسي المكي (ت. 832هـ/1429م) (2000)؛ *شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام*، تحقيق مجموعة من المحققين، بيروت، دار الكتب العلمية.

*الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد(ت.173هـ/786م) (2008)؛ *كتاب العين*، تحقيق: ابراهيم السامرائي، مهدي المخزومي، لبنان، دار ومكتبة الهلال.

*القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري (ت.821هـ/1418م) (1987)؛ *صبح الأعشى في صناعة الإنشا*، تحقيق: محمد حسين شمس الدين وآخرون، بيروت، دار الكتب العلمية.

*المقريزي، تقي الدين أبو العباس (ت.845 هـ/1442م) (2001)؛*اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا*، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، بيروت، دار الكتب العلمية.

*ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي (ت. 626هـ/1229م) (1995)؛ *معجم البلدان*، بيروت، دار صادر.

Foreign references

*Bora, Fozia (2014) Did Salā al-Dīn Destroy the Fatimids' Books. An Historiographical Enquiry. *Journal of the Royal Asiatic Society*: pp. 1-19.

*Hindley, Geoffery (2004); *A brief history of the crusades*. Robinson.

*Riley-Smith, Jonathan (1999); *History of the Crusades*, Oxford: Oxford University Press.